## السَّنة الخامسة والأربعون وخمس مئة

في المحرَّم جلس يوسف الدِّمَشْقي[١] في النِّظامية، وذكر الدرس من جانب الأعاجم، ولم يكن ذلك بإذْن الخليفة، وكان ميلُ الخليفة إلى ابن نظام الملك، فلما كان في الأُسبوع الثاني مُنع من دخول النِّظامية ودار الخليفة، وأُهين جماعةٌ من أصحابه، فلزم بيته، وجاء السُّلْطان مسعود إلى مدرسة أبي النَّجيب، وصلَّى خلفه الصُّبْح، وقال له: اذهب إلى النِّظامية، وألقِ بها الدرس، فقال: أحتاجُ إلى إذْن أمير المؤمنين. فاستخرج له إذْنَ الخليفة.

وأما الحاجُّ فسار بهم قَيْماز إلى مكة، فطَمِعَ فيهم أميرُها بموتِ نظر، [واحتقر قيماز، و][٢] جاءتِ العرب فطلبوا رسومهم، فقال [قيماز للحاج: اجمعوا لهم ما تدفعون به شرَّهَم. فأبوا، فقال][٤]: إذا لم تفعلوا فدعوا العامَ زيارة قبر النبي ﷺ، فاستغاثوا، وضجُّوا، وخرجوا إلى المدينة، فاجتمعتِ العرب، ووقفوا في الطَّريق، وقاتلوهم، فظهرت عليهم العرب، فنهبوا الأموال والجمال، وبدَّدوا شَمْلَ الحاج، وأخذوا من خاتون أُخت مسعود ما قيمته مئة ألف دينار، ومن الناسِ ما يزيد على خمس مئة ألف دينار، ومات مُعْظم الناس جُوعاً وعطشاً، ووصل قيماز إلى المدينة في نفرٍ يسير.

وفيها مَطَرَتِ اليمن مطراً كلُّه دم، فبقي أَثَرُه في الأَرْض، وفي ثياب النَّاس.

ومرض ابن البلنكري وعوفي، فأطلق مسعود المكوس، وتصدَّق بمالٍ كثيرة، وكان المكَّاس ببغداد يسمى مختص الحضرة.

[وفيها وقع الصُّلْح بين نور الدِّين ومجير الدِّين، وقد ذكرنا أَنَّ نور الدين تأخر عن دمشق، فلمَّا سكنتِ الأمطار عاد فنزل عليها وضايقها، ثم إنه أشفق من سفك دماء المسلمين][٣]، فراسله مجيرُ الدِّين، وخرج إليه هو والرَّئيس ابن الصُّوفي، وبذلا له

(١) ستأتي ترجمته في وفيات سنة (٥٦٣هـ).

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) في (ع) و(ح): وفيها في المحرم نزل نور الدين على دمشق وضايقها، ثم أشفق من سفك الدماء.. والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

الطَّاعة، وأن يُخْطب له [على منبر دمشق][1] بعد الخليفة والسُّلْطان، ويُنْقش اسمه على الدِّينار والدِّرْهم، فرضي، وخَلَعَ على مجير الدِّين خِلْعة السَّلْطنة والطَّوق والسِّوارين، وعلى الرئيس خِلْعة الوِزارة، وطيَّبَ قلوبهما، وخرج إليه الأُمراء والأعيانِ، فَخَلَعَ عليهم، وأفاض إحسانه على فقهاء دمشق وقُرَّائها[2]، ورحل إلى حلب والقلوب معه [لما غَمَرَ العالم من خيره][1].

ووصل الملك مسعود[3] قاصداً أنطاكية، ونزل على تل باشر، وضايقها في المحرَّم، ثم رحل بعد أن أشرفت على الأخذ.

[وقال ابنُ القلانسي][1]: ووصل إلى دمشق جماعةٌ ممن سَلِمَ من الحاجّ، فحكوا ما نَزَل بهم من المصيبة [الفادحة التي لم يجر في الإسلام مثلها في السنين الخالية][1]، وأنه كان في الحاج من وجوه خراسان وعلمائها [وفقائها][1] وخواتين[4] أُمراء العساكر السُّلْطانية والحُرَم والبنات [والنِّساء][1] والأموال الجمَّة، والأمتعة الفاخرة ما لا يمكن وصفه، وأَنَّ العرب استولوا على الجميع، ومات أكثرُهم بالجُوع والعَطَش، فكسا أهلُ دمشق العُراة منهم، وأطلقوا لهم ما يستعينون به على العَوْدِ إلى أوطانهم[5].

وفيها أُسر ابن جوسلين، وحُمِلَ إلى [قلعة][1] حلب، وسار نور الدين فافتتح قلعة أعزاز.

وفيها اختلف وزيرُ مصر ابن مَصَال والعادل بن السَّلَّار، وجمعا العساكر، واقتتلوا، فَقُتِلَ الوزير، واستقل ابنُ السَّلاَّر بالتَّدْبير.

وفيها توفي القاضي أبو الحسين[6] فخر الدولة ابن أبي الجن في رجب، ودفن بمقابر جده فخر الدولة، ففُجِعَ النَّاسُ به لخيريته وشرف بيته.

---

(١) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٢) في (ع) و(ح): فقرائها، والمثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) هو الملك مسعود بن قليج أرسلان، صاحب قونية، وكان نور الدين قد تزوج بابنته.

(٤) في (ع) و(ح): وحواشي، وفي (م) خواص، والمثبت من (ش). وهو الموافق لما في «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٨١.

(٥) «ذيل تاريخ في دمشق»: ٤٨١ .

(٦) في (ع) و(ح): أبو الحسن، والمثبت من (م) و(ش)، وقد جاء خبره فيهما أواخر حوادث هذه السنة، وانظر «ذيل تاريخ في دمشق»: ٤٨٣ ، و«كتاب الروضتين»: ١/ ٢٥٩ .

وفيها توفي

## أبو المفاخر الحسن[١] بن ذي النون[٢]

النَّيْسابوري الواعظ، كان صالحاً فاضلاً يعيد الدرس خمسين مرة، ويقول: إن لم يعاد[٣] ما يستقر. وكان حنفيَّ المذهب، خرج من بغداد في جُمادى الأُولى، فتوفي بدارابْجِرْد[٤].

جلس ببغداد، فأنشد: [من البسيط]

أهوى عليّاً وإيمانٌ محبَّتُهُ ... كم مُشْرِكٍ دَمُهُ مِنْ سَيْفِه وَكَفَا

إن كنتَ وَيْحَكَ لم تَسْمَعْ مناقِبَهُ ... فاسمعْ فضائِلَه مِنْ هل أتى[٥] وكفى

وأنشد أيضاً: [من البسيط]

ماتَ الكرامُ ومَرُّوا وانقضَوْا ومَضَوْا ... وماتَ بعدهُمُ تلك الكراماتُ

وخلَّفونيَ في قَوْمٍ ذوي سَفَهٍ ... لو أَبْصروا طَيْفَ ضَيْفٍ في الكرى ماتوا

## عبدُ الملك بن عبد الوهَّاب بن الحَنْبلي، الدِّمَشْقي[٦]

[وذكره ابن القلانسي، قال][٧]: ويلقب بالقاضي بهاء الدِّين، كان إماماً فاضلاً مناظراً، مُفْتياً على مذهب الإمامين أحمد وأبي حنيفة رحمهما الله [بحكم ما كان يجري عليه بخراسان عند إقامته لطلب العلم][٧]، وكان حَسَنَ الحديث في الجِدِّ والهَزْل، ودُفِنَ بجوار أبيه وجَدِّه بالباب الصَّغير، وكان له يوم مشهود[٨].

---

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ١٤٣-١٤٤ ، و«الكامل»: ١١/ ١٥٣ ، و«الوافي بالوفيات»: ١٢/ ٨ ، و«لسان الميزان»: ٢/ ٢٠٥ ، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٩٨ ، وقد سلفت أخباره في حوادث سنة (٥٣٨هـ).

(٢) في (ع) و(ح) بن أبي الليوث، والمثبت من مصادر ترجمته.

(٣) كذا في (ع)و(ح) والجادة: إن لم يُعَدْ.

(٤) قرية بنيسابور، انظر «المنتظم»: ١٠/ ١٤٤ ، و«معجم البلدان»: ٢/ ٤١٩ .

(٥) انظر حاشيتنا رقم ١ ص٤٩٢ من هذا الجزء.

(٦) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٤٨٣ ، و«كتاب الروضتين»: ١/ ٢٥٨ ، و«الوافي بالوفيات»: ١٩/ ١٨٠ ، و«ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب: ١/ ٢١٩ ، و«المقصد الأرشد»: ٢/ ١٤٨ ، و«المنهج الأحمد»: ٣/ ١٤١-١٤٢ ، و«الدارس»: ٢/ ٦٧ ، و«شذرات الذهب»: ٤/ ١٤٣ .

(٧) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٨) «ذيل تاريخ دمشق»: ٤٨٣ .

[فصل: وفيها توفي

## عبد الملك بن أبي نَصر بن عمر[١]

أبو المعالي الجِيْلاني، تفقَّه على أسعد المِيْهني، سمع الحديث، وكان فاضلاً زاهداً، لم يكن له بيت يأوي إليه إلا المساجد الخراب، لا يقبل برَّ أحد، خَرَجَ إلى الحج، فأغارت العرب على الحاج، فانقطع بفَيْد، وأقام بها حتى مات، وكان أهل فَيْد يصفونه بالزهد والورع][٢].

## علي بن أحمد بن محمد[٣]

[المُقْرئ][٢] ويعرف بالأحدب، المُعَلِّم البغدادي، مات ببغداد [وذكره العماد في «الخريدة» وقال][٢]: وماتت ابنة له فرثاها، فقال: [من الطويل]

ولستُ براضٍ بالبكاءِ بُنَيَّتي ... عليكِ إلى أنْ أَمْزُجَ الدَّمْعَ بالدَّمِ
فلو أَنَّ جَفْني دائماً ببكائِهِ ... على قَدْرِ حُزْنٍ تستحقينه عَمِي
وإنِّي بِمثْلِ الكَأْس بعدَكِ شارِبٌ ... كما شَرِبَ الماضون من لَدُ[٤] آدَم
فلا بَلِيَتْ تلك العِظامُ فإنَّها ... بقيةُ جسمي لم تدنَّسْ بمأْثَمِ[٥]

## عليُّ بنَ دُبَيْس، صاحب الحِلَّة[٦]

كان شجاعاً، جَوَاداً، وكان قد استوحش من السُّلْطان، فبعث إليه يتهدَّده [وهو بالحِلَّة][٢]، فقال لرسوله: قل له: مثلي ما يُهدَّد؛ لأنَّ قصارى أمري أن تخرجني من جُدْران الحِلَّة، وتبعدني عن أَوْساخها، فأسكن في فيافي بني أسد، وأقنع بخيام

(١) له ترجمة في «المنتظم»: ١٠/ ١٤٤-١٤٥ ، و«طبقات الشافعية» للسبكي: ٧/ ١٨٩-١٩٠ .

(٢) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).

(٣) له ترجمة في «خريدة القصر» قسم شعراء العراق: مج١/ ج٣/ ٣٢٩-٣٣٠ .

(٤) لد، لغة في «لدن»، ظرف زماني ومكاني غير متمكن بمعنى عند إلا أنه أقرب مكاناً من «عند»، وأخص منه. انظر «اللسان» (لدن).

(٥) «الخريدة»: مج١/ ج٣/ ٣٣٠ .

(٦) له ترجمة في «الكامل» لابن الأثير: ١١/ ١٠٢ ، و«الوافي بالوفيات»: ٢١/ ١٠٢ ، و«النجوم الزاهرة»: ٥/ ٢٩٩ ، وقد سلفت أخباره على السنين.

الشَّعر؛ وتلال الرَّمل؛ وثِماد المياه؛ وخشن العَيْش، وهو وأمثاله لو فَقَدَ إيقادَ الشَّمْع، ودخانَ النَّدِّ، وألوانَ الأطعمة، وحشايا القَزّ، والحماماتِ لهلك.

وكانت وفاته بالحِلَّة[١]، [واختلفوا في سببها على أقوال: أحدها أنه مات بعِلَّة السكتة، والثاني أنه سُمَّ، والثالث بعِلَّة القولنج، واتُّهم طبيبه محمد بن صالح بأنَّه قَصَّر في أمره ، فمات طبيبه بعد قليل، وولي بعده ابنه مُهَلْهِل بن علي][٢].

## محفوظ بن أبي محمد الحسن[٣]

ابن صَصْرى، أبو البركات، ويعرف بالقاضي المكين، كان مشهوراً بالخير والعَفَاف، وكانت وفاتُه بدمشق في ذي الحِجَّة، وقد بلغ ثمانين سنة.

## السَّنة السَّادسة والأربعون وخمس مئة.

فيها دخل السُّلْطان مسعود بغداد، وخرج الوزير ابن هُبيرة وأربابُ الدَّولة إلى لقائه، فأكرمهم، [وأحسنَ إليهم][٤].

---

(١) في (ع) و(ح): عقب هذا قوله: وكانت وفاته بالحِلَّة، فقبض ترشك على ابن الوزير ونجاح ويرنقش إلخ.. وهذا القول وما بعده حتى آخر ترجمة يوسف بن محمد بن فارُه الأندلسي، هو من حوادث سنة (٥٤٨هـ)، مما يعني أن اضطراباً وقع في النسختين جعل السنوات (٥٤٦هـ) و(٥٤٧هـ) و(٥٤٨هـ) و(٥٤٩هـ) تتداخل حوادثها ووفياتها تداخلاً عجيباً، وجعل تتمة ترجمة علي بن دُبيس هذا يقذف بها إلى آخر حوادث سنة (٥٤٨هـ)، ويدل ذلك أيضاً أن ثمة خللاً في الأصل الذي نقل عنه ناسخا كل من النسختين، وقد جبرت هذا الخلل، وأعدت الحوادث والوفيات إلى تتابعها على السنين مستأنساً بما ورد في (م) و(ش).
ويبدو أن النسخة التي اعتمد عليها ابن تغري بردي من «المرآة» فيها الخلل نفسه، فقد ذكر في وفيات سنة (٥٤٥هـ) حوادث ووفيات سنة (٥٤٨هـ)، وقد نبه محققه إلى ذلك، وإن لم يقف على سبب هذا الخلل، وابن تغري بردي لا يصرح بنقله من «المرآة» في كثيرٍ من الأحيان.

(٢) في (ع) فمات بعلة السكتة، وقيل: إنه سُمَّ، وقيل: مات بعِلَّة القولنج، واتهم طبيبه محمد بن صالح أنه قصر في أمره، فمات بعد قليل، وولي الحلة ابنه مهلهل بن علي. قلت: وأثبت ما بين حاصرتين من (م) و(ش): وجاءت في (ع) بعد ترجمة علي بن دبيس ترجمة محفوظ بن أبي محمد الحسن بن صصرى.

(٣) له ترجمة في «ذيل تاريخ دمشق» لابن القلانسي: ٤٨٤ ، و«تاريخ ابن عساكر»: (خ) (س): ١٦/ ٢٨٥ ، و«سير أعلام النبلاء»: ٢١/ ٢٦٧ ، و«الوافي بالوفيات»: ٢٥/ ١٨٥ ، وقد أخطأ محققه في الإحالة في السير على ترجمته، إذ إنه أحال على ترجمة ابنه أبي البركات هبة الله بن محفوظ!

(٤) ما بين حاصرتين من (م) و(ش).